المحاضرة الثالثة :

اتجاهات الشعر الجزائري الحديث

1- الاتجاه الكلاسيكي (الإحيائي) في الشعر الجزائري الحديث:

عندما نتحدث عن بدايات الشعر الجزائري الحديث فإننا نتحدث عن البداية التأسيسية التي كانت مع الأمير عبد القادر إذ يعد رائد الإحياء في الجزائر والمغرب العربي ، بل والوطن العربي ، فقد تحدث كثير من الرواد عن ريادة محمود سامي البارودي وأغفلوا دور الأمير عبد القادر والحقيقة أنه قد سبق البارودي زمنا ما يعني أن الإحياء عنده لم يأت تأثرا به وإنما جاء مباشرة عن طريق النظر في الشعر القديم ، وربما قد خطرت فكرة العودة إلى الينابيع الأولى لهما في أوقات متقاربة من غير اتفاق ، ونحن حين نقرأ شعر الأمير عبد القادر نتذكر معه شعر البارودي " فكلاهما فارس وكلاهما شاعر وإن رجحت كفة الأمير في الأولى ورجحت كفة البارودي في الأخرى ، والشبه لا يقف عند هذا الإطار الخارجي بل يتعداه إلى لغة الشاعرين وإلى موضوعاتهما ، فقد اتخذ كل منهما الشعر للإفصاح والتعبير لا للزخرفة والتصنيع ."

وفي هذا الاتجاه يبرز الشعر الإصلاحي الذي ارتبط بجمعية العلماء المسلمين ، فمع تأسيسها سنة (1931) بدأ اهتمامها بالإصلاح الديني والاجتماعي في وقت عاش فيه المجتمع الجزائري أشكال التخلف والظلم والمعاناة من طرف الاحتلال الفرنسي، ولأجل ذلك فجمعية العلماء سخرت الشعر لغايات دينية وسياسية واجتماعية، وتجاهلت الجوانب الفنية ، ومنه فقد اهتم التيار المحافظ في الشعر الجزائري بالسياقات الاجتماعية والدينية للنص الشعري تماشيا مع الأحداث السياسية الراهنة، وعمد إلى أن تكون الوظيفة الاجتماعية والإصلاحية للشعر بالدرجة الأولى قبل أن تكون فنية جمالية.

تصدر التوجه الإصلاحي طليعة الساحة الشعرية، وفي إطاره ظهر الشعر الاجتماعي الذي عالج قضايا المجتمع المتخلفة، وحفل ديوان محمد العيد آل خليف (1904-1979) بقصائد كثيرة وقفت عند هذا الهم كما عكس ديوان أحمد سحنون (1907-2003) الكثير منها . كما يعد الشاعر محمد الهادي الزاهري (1902- 1974) من رواد هذه الحركة .

غلب الطابع الديني على بدايات الشعر الجزائري الذي كان خاضعا لهيمنة الموروث الشعري التقليدي ولهيمنة التوجه الإصلاحي ، كما أصبح التوجه

نحو مبدأ الثورة شعورا وطنيا عاما، وهو مبدأ تبناه الشعر الجزائري فكان الشعر الجزائري ديوانا ثوريا كبيرا حافلا بأحداثها ومظاهرها .

برز الشعر النوري كضرورة ملحة لما حصل من أحداث تاريخية، فاتخذ مادته من الثورة وعبر عنها ، وسعى لشحذ الهمم نحو الجهاد.

2- الاتجاه التجديدي في الشعر الجزائري :

ظهر التجديد في الشعر الجزائري الحديث في إطار حركة الشعر الجديد والشعر الحر وظهر الإطار العام له أثناء ثورة نوفمبر عندما أخذ الشعر يتجه اتجاها واضحا إلى التعبير عن المشاعر الفردية وظهرت فيه انعكاسات التجربة الذاتية بعد أن كانت تطغى على نظرة الشاعر الغيرية وشعر المناسبات ، وكان للتأثر بالاتجاه الرومانسي العربي الذي تمثله مدرسة الديوان والرابطة القلمية وجماعة أبولو دورا مهما في ظهوره في الشعر الجزائري ، وكان للشاعر الرومانسي أبو القاسم الشابي تأثير في كثير من الشعراء الجزائريين .

أما الرافد الآخر في ظهور الاتجاه الوجداني الرومنسي في الشعر الجزائري الحديث فهو الرافد الغربي خاصة الفرنسي منه بحكم الثقافة الفرنسية التي كانت مسيطرة على المجتمع الجزائري بالرغم من شدة صلة الشعراء الجزائريين بالشعر العربي وروافده وتراثه ، ومن الشعراء القلائل الذين احتكوا بالأدب الفرنسي واستفادوا منه ، وهم في الوقت نفسه كانوا يتبنون فكرة التجديد من خلال منظور رومنسي رمضان حمود الذي يعد حامل لواء التجديد في الشعر الجزائري الحديث و يظهر ذلك من خلال مقالاته التي كان ينشرها في الصحافة العربية بالجزائر خاصة في مجلة "الشهاب ، فقد فهم أن السبيل الوحيد لتحرير الأدب من قيود الماضي ، وما يطلق عليه الجمود والتقليد الأعمى ، هو الاتصال بالآداب الأجنبية والاستفادة منها عن طريق الترجمة والنقل .

تحامل رمضان حمود على شعراء الأمة في عصره الذين ارتدوا ثوب الجمود والتقليم ونسوا واجب وطنهم في إحياء الشعور القومي في أمتهم ، يخاطبهم قائلا :

ألا جدّدوا عصرا منيرا لشعركم مسلسلة التقليد حطمها العصر
و سيروا به نحو الكمال ورمموا معالمه حتَّى يُصافحه البدر
كما كان قبل الرشيد وبعده فتلك عصور الشعر حف بها النصر

وإلى جانب حمود رمضان برز شاعران وجدانيان رومانسيان برزت ملامح التغني و الألم في شعرهما و هما "أحمد سحنون " ، و " مبارك جلواح " وهذان الشاعران إن لم يتركا لنا نصوصا نقدية كما فعل حمود رمضان" ، فإن إنتاجهما الشعري ينبئ عن مفهوم وجداني متميز كما نجد "محمد البشير العلوي" و "أحمد رضا حوحو" و "عبد الله شريط" ...

والرومنسية في الشعر الجزائري لم توجد فيه كمذهب بالمفهوم الدقيق و إنما وجدت كاتجاه غير مكتمل المعالم ولم يثر على الاتجاه التقليدي المحافظ و إنما سار معه جنبا إلى جنب " ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه خفف من حدة اللغة الكلاسيكية وموسيقاها وطعّم الشعر الجزائري بصور جديدة وقربه من عالم الوحي والإلهام .

ظهر الاتجاه الوجداني الرومنسي في الساحة الأدبية الجزائرية ابتداء من عشرينيات القرن العشرين جاء نتيجة حتمية لما كان يعيشه الشعب الجزائري من مآس ومعاناة فوجد فيه الشعراء ملاذا للتعبير عن إحساسهم بالظلم والقهر والثورة والتمرد.

وامتدت الدعوة إلى التجديد بخطى ثابتة مسايرة للحركة الإبداعية في العالم وفي الوطن العربي حتى وصلت في الخمسينيات من القرن العشرين إلى بداية إحداث انقلاب في الشعر الجزائري على مستوى الشكل والمضمون كمثيلتها في الوطن العربي التي برزت حوالي سنة 1947م على يد شعراء العراق من أمثال "نازك الملائكة" و "بدر شاكر السياب " بما عرف بالشعر الحر أو شعر التفعيلة .و نسجل هنا الفرق بين التجربتين العربية والجزائرية، فالأولى نلاحظ فيها أن " أغلب الشعراء الذين كتبوا الشعر الحر في المشرق مطلعين على الآداب الأوربية بلغتها الأصلية ، أو عن طريق الترجمة فتأثروا بما قرؤوا ، بينما نجد الشعراء الجزائريين بعيدين عن التأثر بالمذاهب و الاتجاهات الحديثة في الأدب الفرنسي ، و لم تشهد الحركة الأدبية شعراء أتقنوا العربية والفرنسية . سواء ، وكتبوا شعرا عربيا يعبر عن تأثر الآداب العالمية بعضها ببعض.

لذلك فإن رافد التشكيل الجديد للقصيدة العربية في الجزائر هو الرافد التجديدي العربي .

وكان أول ميلاد للقصيدة العربية في الجزائر بتشكيلها الجديد سنة 1955م مع نشر جريدة البصائر للنص الشعري (طريقي) لأبي القاسم سعد الله في 25 مارس 1955 منها هذا قوله :

يا رفيقي
ا تلمني عن مروقي
فقد اخترت طريقي
و طريقي كالحياة
شاتك الأهداف مجهول السمات
كل مافيه جراحات تسيل
وظلام و شكاوى و ووحول
في طريقي يا رفيقي

وقد سبقت هذه الريادة كتابات شعرية لكنها لم تنشر إلا بعد الاستقلال كقصيدة حنيني لمحمد الأخضر السائحي وقصيدة الموتورة لأبي القاسم خمار، وتبعتها محاولات أحمد عوالمي والطاهر بوشوشي ومحمد الصالح باوية ... ورغم ما أحدثه هؤلاء في شكل القصيدة إلا أن مضمونها بقي في حدود تجسيد الواقع الثوري. غير أن هذا الواقع قد تغير في فترة السبعينيات حيث عرفت الشعرية الجزائرية انتعاشا وتنوعا وظهرت تجليات الحداثة الشعرية في الشعر الجزائري.